الآداب
المجلد: 25، العدد: 01، ديسمبر 2025
الصفحات: 229 – 252
ISSN 1111 – 4908 EISSN 2588 – 2228

فاعلية العلامة الدينية في بناء الخطاب الروائي السوري المعاصر وانبثاق المعنى
–رواية (سهر الورد) لنضال صالح أنموذجا

The Effectiveness of Religious Symbolism in Constructing Contemporary Syrian Narrative: Discourse and the Emergence of Meaning in *Sahar al-Ward* by Nidal Saleh

د. ماجد قائد.[1]

[1] جامعة أبين – اليمن، aboskher1982@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2025/08/29 تاريخ القبول: 2025/10/17 تاريخ النشر: 2025/12/11

ملخص:

يتناول هذا البحث العلامات والأنساق الدينية للخطاب الروائي في رواية "سهر الورد" للأديب السوري نضال الصالح ودورها في بناء معمار الرواية، ويسعى لتتبع هذه العلامات والأنساق مستعينا ببعض آليات المنهج السيميائي لكشف معرفة مدى اشتغالها في بناء خطاب الرواية فنيا ودلاليا، وقد توصل إلى مجموعة من النتائج، من أهمها: أن العلامات والأنساق الدينية شكلت بصمة فنية بارزة في نصوص الرواية، ومرتكزا في بناء معمار خطاب الرواية فنيا ودلاليا وجماليا، وعكست صدى الواقع السوري المليء بالمآسي والموت والمعاناة والألم والخيبات والأحقاد والكراهات جراء الحرب، وكشفت الحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والثقافية المعقدة في سوريا عموما وفي مجتمع حلب خصوصا، وما جري فيها من التحولات أثناء الحرب الأخيرة*.

كلمات مفتاحية: *سيمياء؛ العلامة؛ الأنساق؛ الخطاب الروائي؛ النص الروائي؛ الدلالة.*

Abstract:

This research examines the religious symbols and patterns in the narrative discourse of the novel *Sahar al-Ward* (The Night of Roses) by Syrian author Nidal al-Saleh and their role in constructing the novel's architecture. It seeks to trace these symbols and patterns using some of the mechanisms of semiotics to reveal the extent to which they function in constructing the novel's discourse artistically and semantically. It has reached a number of conclusions, the most important of which are: that religious symbols and patterns form a prominent artistic feature in the novel's texts and are central to the construction of the novel's artistic, semantic, and aesthetic discourse; that they reflect the reality of Syria, which is full of tragedy,

المؤلف المراسل: ماجد قائد.

death, suffering, pain, disappointment, hatred, and animosity as a result of the war; It also revealed the complex political, social, economic, religious, and cultural situation in Syria in general and in Aleppo society in particular, as well as the transformations that took place there during the recent war.

Keywords: *Semiotics, sign, systems, narrative discourse, narrative text, meaning.*

مقدمة

تحمل العلامة الدينية مدلولات معرفية وفكرية وحضارية ودينية ثرية، وتعكس مخزونا ثقافيا عميقا ومنجزا إبداعيا قيما. فهي ممارسات سيميائية خصبة الترميز وثرية الدلالة، لها إمكانات هائلة في التفاعل مع النصوص الإبداعية والأدبية والتحاور معها، وتعزيز فعاليات السرد، وإنتاج نصوص جديدة، تفيض بالمعاني، وتنساب بالدلالات، وتتوهج بالجمالية.

يعد توظيف العلامات الدينية في الرواية العربية المعاصرة إحدى تقنيات التجريب التي لجأت إليها الرواية المعاصرة لتجديد خطابها وتوسيع أفقه، فقد أصبحت بنية في تشكيل مبناها، وتوليد معانيها، وإبراز جمالياتها. إن الهدف من استحضار العلامات الدينية في الرواية العربية المعاصرة هو تفعيل معطياتها، وتجديد عناصرها، واستغلال طاقاته وإمكاناته الرمزية والدلالية والجمالية، وتوظيفها كتقنيات فنية في بناء معمار الخطاب الروائي، والتعبير عن التجربة الروائية المعاصرة، وإيصال إيحاءاتها الدلالية وأبعادها النفسية إلى المتلقي.

أدرك الكثير من الروائيين العرب المعاصرين قيمة العلامات الدينية وخصوبتها، فعملوا على استرفاد أنواعها في بناء الرواية العربية المعاصرة؛ خدمة لأبعادها الفكرية والثقافية والإيحائية، وتجذيرا للواقع العربي، وتصويرا للأحداث والوقائع، وتحريكا لخيال القارئ. ومن هذه الروايات رواية (سهر الورد) للروائي السوري نضال صالح، وهي رواية تحمل أبعادا دينية وسياسية وفكرية وحضارية وثقافية، تحلق بالقارئ في فضاءات معرفة رحبة، وتفيض نصوصها بالعلامات ومنها العلامات الدينية بكل أنواعها، التي شكلت بنيات كبرى في تشييد معمارها النصي. ومن هنا يمكن صياغة إشكالية البحث في السؤال التالي:

إلى أي حد تمكن الروائي نضال صالح من توظيف العلامات الدينية وصهرها في نصوص روايته (سهر الورد)؟ وما مدى إسهامها في بناء الرواية شكلا ومعنى؟ وللإجابة على ذلك، توسلنا بالمنهج السيميائي لتتبع حركة العلامات الدينية بكل أنواعها في نصوص الرواية، وفهم كيفيات اشتغالها، ومعرفة تقنياتها في بناء الرواية شكلا ومضمونا.

انتظم البحث في ثلاثة مباحث، درس المبحث الأول العلاقة بين العلامة الدينية والخطاب الروائي، وقارب المبحث الثاني تجليات العلامات الدينية الإسلامية، وتناول المبحث الثالث تمظهرات العلامات الدينية الإنجيلية، وذيل بخاتمة لخصت أهم نتائجه.

1. العلامة الدينية وخطاب الرواية

الخطاب الروائي المعاصر هو خطاب نقد ومساءلة، ومحاولة لكشف الواقع، واستيعابه، باعتباره "الشكل التعبيري الأقدر على التقاط صور وعلامات التحولات، من خلال عناية التاريخ العميق الخفي الممتزج بالزمن المعاش، وبأسئلة الإنسان العربي داخل تاريخه الحديث المتسارع في الإيقاع، المزدحم بالأحداث والهزات والحبوطات، فيمتزج التخييل بالوقائع، والمتعة بالقلق نتيجة رؤية النفس في المرآة، وشيئا فشيئا أصبحت الرواية العربية، ونقصد نماذجها الجادة الواعية لخصوصيتها الأستيتيقية، مجالا لمكاشفة الذات واجتراح الحوار وطرح الأسئلة الصعبة عبر الرصد التفصيلي لتغيرات المجتمع والإنسان والفضاء"[1]. ولهذا؛ يسعى خطاب الرواية لابتكار تقنيات جديدة، وخلق شبكة من التعالقات النصية، قائمة على نظام علاماتي فعال، يتكون من "سلسلة من العلامات اللغوية، التي تشكل معطى سيميائيا وثقافيا منتجا للمعنى، وهذه العلامات، تؤسس لفعلها، وقدرتها على بناء المعنى، من خلال تحرير (العلامة) من القيود المرجعية والمعجمية، وإطلاقها في فضاءات الدلالة المتعددة"[2].

تعمل الأنساق والظواهر العلاماتية في تفعيل عمليات التواصل وإنتاج المعنى في الخطاب الروائي، وتعد العلامة الدينية شكلا من هذه الظواهر، لأنها تمتلك أنساقا دينية وتاريخية وثقافية واجتماعية، قادرة على بناء النص، وإحداث فعاليات تواصلية، وتوليد مديات دلالية وطاقات إيحائية.

أدرك الروائيون العرب المعاصرون قيمة العلامة الدينية بشكل عام والعلامة الدينية بشكل خاص، وأهميتها في التأثير في وجدان المتلقي، وتعزيز حضور الذات، والتفاعل مع النص؛ فلجأوا إلى توظيفها؛ من أجل إثراء التجربة الروائية وترسيخها، والتعبير عن الراهن من خلال استحضار الماضي، فأضحت هذه العلامات لبنة من لبنات بناء الخطاب الروائي، و"لم تكن زخرفا، يزركش به الروائي نصوصه أو لوحات محنطة لا حياة فيها، بل منتج إبداعي حي يتجدد ليعبر عن الماضي والحاضر والمستقبل، فهو مادة خام يمكن إعادة تكريره وإخراجه بأشكال إبداعية جديدة تتلاءم مع المواقف والأحداث الآنية، بمعنى أنه لم يعد "ذلك البناء الذي يقبع (هناك) في الماضي، ولكنه على التحقيق هو الفعل الساكن فينا الذي يمكننا أن نكونه قدر ما يكوننا"[3].

يعد توظيف العلامات الدينية بكل أنواعها القرآنية والنبوية والإنجيلية والتوراتية واسترفاد الأماكن والشخصيات الدينية في نصوص الرواية شكلا من أشكال التجريب الروائي، يندرج في إطار فنية التناص، باعتبار الرواية "نصا، شأنها شأن أي نص كيفما كان جنسه ونوعه، تتفاعل مع مختلف النصوص كيفما كانت طبيعتها، انطلاقا من تفاعلها مع واقعها"[4].

لقد ساهم استثمار العلامات الدينية في الرواية العربية المعاصرة على انفتاح خطابها الروائي، فليس المقصود الاحتفاء بهذه العلامات، بل إعادة اكتشاف قيمها وفنياتها، وصياغتها من جديد، وابتكار عوالم متخيلة جديدة في نظام شبكي من التعالقات النصية والتقنيات الفنية، التي تنتج خطابا روائيا ناضجا ورحبا، خصب المعرفة، وثري المعنى، وبالغ التأثير، وقادرا على مسايرة الراهن ومعالجة القضايا، فالرواية التي توظف العلامات والأنساق الدينية المختلفة في نصوصها، تخلق نصا خصبا، متعدد الثقافات ومتنوع الأفكار، فيشكل "نصا مركبا تركيبا مزيجا من رواسب حقول نصية متعددة، بعضها ينتمي إلى لغة القرآن وإيقاعه، وبعضها الآخر يعود إلى مختلف الأساليب النثرية القديمة في مستوى اللغة والتركيب"[5].

يعتمد توظيف العلامات الدينية في الخطاب الروائي على سعة خيال الكاتب، وعلى الوعي بالجمال، من أجل زيادة فعاليات التفاعل مع النصوص والأنساق الدينية، وتفعيل حركة الأحداث والشخصيات في المسرح الروائي، وشحن الخطاب الروائي بطاقات فنية ودلالية، وتنشيط عمليات القراءة، وتوسيع أفق الخيال

عند المتلقي، ودفعه إلى التنقيب عن معاني هذه العلامات في سياقاتها الجديدة، كما يمكنه من خلالها كشف عن الحس الحضاري للكاتب، وتوجهه الديني، وسعة ثقافته، ورصانة أسلوبه، وعمق رؤيته.

إن توظيف العلامات الدينية في الخطاب الروائي المعاصر يمنحه لمسة إبداعية سحرية وثقافية، ويمده بطاقات حيوية؛ لأنها أنساق، ترتبط بالإنسان وتؤثر على كينونته ووجدانه، فالخطاب الروائي الذي يسترفد ما هو موروث ديني وثقافي يكون أكثر جذبا للمتلقي، حيث يحرك خياله، ويدفعه إلى التحليق في أجواء الخطاب وتصيد معانيه ودلالاته.

تمثل القيم والمثل والمبادئ العليا السامية معاني دينية وفكرية قيمة وتأمل وجداني، فإذا كانت التعاليم الدينية تحرص على تحقيق قيم الحق والخير والعدل والجمال، فإن الخطاب الروائي المعاصر يستبطن الفطرة السليمة، ويعلي من شأن القيم ويسعى إلى ترسيخ المثل السامية، ويروم الإصلاح من خلال اقتراح حلول لمشكلات الإنسان المعاصر بما يتوافق مع مقومات الدين النبيلة، فهو بهذا يسهم إسهاما قيما في يناء الوعي الديني، وفهم معطياته.

إن غاية الرؤية الدينية في الخطاب الروائي هي "تغيير الحياة وتطويرها وترقيتها إلى المستوى الأسمى عن طريق بذر العقيدة وترسيخها في الصدور، وغرس مبادئ الخير والجمال في النفوس"[6]. وإذا كان الخطاب الروائي فنا أدبيا وممارسة ثقافية فإن كل ما هو ديني يمثل ثقافة وهوية، لهذا حرص الروائيون المعاصرون على تضمين الخطاب الروائي مجموعة من العلامات الدينية لتقريب الواقع المعاش، والإفصاح عن الأحداث والمواقف، وتمرير مجموعة من الرسائل الثقافية في المجتمع. ولهذا تميز الخطاب الروائي بحضور طاغ لمجموعة من العلامات والأنساق والإشارات والرموز الدينية، التي تجلت في أبعاد مختلفة بما يتوافق مع الحدث الروائي وشخصياته وزمانه ومكانه، وهو ما أكسب هذه العلامات والأنساق الدينية قيما فنية ودلالية وجمالية.

شكلت العلامات الدينية في الخطاب الروائي المعاصر أنساقا معتبرة في تأليف مبانيه وتوليف معانيه، فقد اهتم خطاب الرواية العربية المعاصرة "بالاشتغال على النص الديني بمختلف مصادره ومشاربه، وذلك بتوظيف نصوصه ومضامينه المختلفة، وجعلها آلية من آلياتها الإفهامية والاتصالية التي من شأنها الارتقاء إلى المتلقي"[7]، وتحقيق أدبية النص الروائي.

2. تجليات العلامات الدينية الإسلامية

استثمرت الرواية العربية المعاصرة العلامات الدينية بما تحمله من قيم فنية وثراء معنوي؛ لخدمة النص دلاليا وجماليا، وإحداث فعالية قرائية، وإضفاء أبعاد فنية وإشراقات جمالية وخصوبة تعبيرية وثراء دلالي على خطابه. فقد حضرت العلامات ذات المرجعية الدينية كثيرا في نصوص رواية "سهر الورد في تناصات متعددة، حيث نهل الكاتب من منابع العلامات الدينية المختلفة، كالنصوص القرآنية وقصصها، والأحاديث النبوية، والأسفار، والشعائر والرموز والشخصيات الدينية، وشكلت نسيجا نصيا في بناء معمار روايته، وأحد تقنيات التجريب التي وظفها للتعبير عن رؤيته الواقع المعاش، وتشخيصه، وإعادة فهم الراهن وقراءته، وتجسيد الأحداث والمواقف في صورة أكثر حيوية وإشراقا.

1.2. جمالية العلامات القرآنية.

استثمر الكاتب نصوص القرآن الكريم لما تتمتع به من قداسة ومصداقية وقيم روحية ودلالية، وما تتطلبه حساسية الأحداث والوقائع في الرواية، فقد حضرت مجموعة من التناصات القرآنية في سياقات مختلفة من خطاب الرواية، وتنوع حضورها بين الصريح والاجتزاء والامتصاص.

من مواضع حضور العلامة القرآنية ما جاء في رسالة "يحيى" الدكتور المسلم الذي يعمل في مركز أبحاث يتبع جامعة حلب لزميلته "ورد" الدكتورة المسيحية التي تعمل معه في المركز نفسه، وصف فيها الحور العين اللواتي، عندما كان القناصة يقتلون الأبرياء، ويعتقدون بأنهم يقتربون منهن، ويتقربون إليهن، يقول: "الحور اللواتي يصفهن كتابنا، نحن المسلمين، كأمثال اللؤلؤ المكنون، وكأنهن الياقوت والمرجان، والقاصرات الطرف، والأبكار والعُرب الأتراب، وفيهن خيرات حسان، والأزواج المطهرة"[8]. يعج النص السابق بالتناصات القرآنية المكثفة مع مجموعة من الآيات القرآنية، كما في قوله تعالى: ﴿**كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ**﴾[9]، وقوله تعالى: ﴿**كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ**﴾[10]، وقوله تعالى: ﴿**وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ**﴾[11]، وقوله تعالى: ﴿**فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ**﴾[12]، وقوله تعالى: ﴿**وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ**﴾[13]، وقوله تعالى: ﴿**عُرُباً أَتْرَاباً**﴾[14]، وقوله تعالى: ﴿**وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً**﴾[15]، وقوله تعالى: ﴿**فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ**﴾[16]، وقوله تعالى: ﴿**وَلَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ**﴾[17]، وقوله تعالى: ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ**﴾[18]، وقوله تعالى: ﴿**لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ**﴾[19].

حمل التكاثف العلاماتي القرآني الكثير من المعاني والدلالات حول الأوصاف المغرية للحور العين، التي جمعت بين المحاسن الظاهرة والباطنة للحوراء، وعبرت عن شدة الجمال، وحسن الخَلق والخُلق، والدلال والتحبب. لقد عدّل الروائي نضال الصالح استثمار هذا الثراء الدلالي والجمالي، وأشار لقضية خطيرة، وهي استغلال المتطرفين لقيمة هذا الخطاب القرآني عن قيمة الحور العين، وقوة تأثيره في نفوس الشباب المسلم، فوظفوه من أجل بيع الوهم للشباب وإغرائهم، وشحنهم بالأفكار الضالة، وتجييش عواطفهم، والزج بهم إلى ساحات المعارك والقتل والتدمير تحت شعارات زائفة، تفيد بأن حُور العين في انتظارهم. كما هدف من خلال هذا التكثيف التناصي القرآني تفعيل حركة السرد في النص، وإخصابه دلاليا وجماليا.

من العلامات القرآنية ما جاء في حديث "يحيى" مع "ورد" عندما اتصلت به دون أن يعرف رقمها ويميز صوتها، فرد عليها بسرعة أهلا دكتورة "ورد"، فكانت مفاجأة بالنسبة لها، فعلّل ذلك بقوة الأروح وتعارفها، فقالت له: أتؤمن بهذا، فأجابها: يجب أن نؤمن، الإيمان طهارة، خلاص لأرواحنا من شرور العالم، يقين بأّن حبل الشّر قصير. في قرآننا: "قد أفلح المؤمنون"[20]، وهنا تناص صريح مع قوله تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**﴾[21]، حيث يشيد الله سبحانه وتعالى في هذه الآية بعباده المؤمنين، وفوزهم وسعادتهم، وينوه بمقامهم الذي بلغوه بإيمانهم وصدقهم. لم يزح الكاتب دلالة الآية، وحاول الاستفادة منها، وتوظيفها على لسان "يحيى" لتأكيد قيمة الإيمان في الحياة وتدعيم قوله وصدق حدسه النابع من قوة الإيمان بالقيم والمبادئ، وهو ما دعم النص، وأكسبه بعدا دلاليا وقيما وجماليا.

من مواطن حضور العلامة القرآنية قول "يحيى" لـ "ورد" حال وداعها بعد أن دار بينهما نقاش حول التقرير السلبي الذي كُتب بحق الدكتورة "ورد"، وجعل إدارة الجامعة تنقلها من الكلية للمركز، تقول "ورد": "وهو يودعني عند باب البيت فتح "يحيى" كفه، ثم احتوى بها كفي كلها، وهو يقول: عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم، وما إن التقط صمتي دلالة على أنني لم أفهم القصد من عبارته، حتى أضاف: هكذا يقول كتابنا، نحن المسلمين"[22]، ففي النص السابق تناص واضح مع قوله تعالى: ﴿**وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾[23]، تتحدث الآية عن وجوب القتال على المسلمين والجهاد ضد أعداء الإسلام، وهو أمر شديد وشاق عليهم، لكن عاقبته النصر والظفر على الأعداء، وقد استحضرها الكاتب على لسان "يحيى" ليعبر لـ "ورد" أن هذه التقارير التي كتبت لتكون كيدا لها، عساها تنعكس عليها بالخير والنصر والظفر.

نجد أن التناصات التي استحضرها "يحيى" في حديثه مع "ورد" غالبا يلحقها بقوله: "هكذا يقول كتابنا نحن المسلمين"، فقد حاول تدعيم خطابه لـ"ورد" لأنها مسيحية، بإيراد نصوص من القرآن الكريم، باعتباره الخطاب الذي يعبر عن مواقفه ومشاعره وينقل رسائله ويؤكد صدقه.

من العلامات القرآنية التي استحضرها الكاتب على لسان "ورد" في حديثها مع أحد العارفين بدهاليز الثقافة في حلب وهو يتحدث عن بعض الإعلاميين والكتاب الذين يحاولون التقرب من الساسة، ويرتهنون لمتع الدنيا، تقول: "مثل هؤلاء يمكن شراؤهم بثمن بخس"[24]، وقد استرفدها الكاتب من قوله تعالى: ﴿**وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ**﴾[25]. تتحدث الآية عن قصة نبي الله يوسف –عليه السلام – مع إخوته، وكيف باعه السيارة بثمن قليل تافه؛ ليتخلصوا منه، وقد وظف الكاتب هذا النسق التناصي للإشارة إلى معاني الارتهان وبيع الضمير في زمن النفاق، وإلى قيمة المرتهن من الصحفيين والكتاب، وإلى مستوى ثمنه الرخيص، فهو في نظر من اشتراه ليس له أي قيمة، بل هو تابع عبد ينفذ أجنداته.

وردت العلامات القرآنية في موضع الحوار المتخيل بين "يحيى" و "الشيخ افتخار الدين" حول إنقاذ حلب من نار الحرب التي تعصف بها، نجد ذلك في قوله: "فتلى الشيخ افتخار الدين بصوت مختلط ببكاء: يضُّل من يشاء ويهدي من يشاء، ولتسألَّن عما كنتم تعملون"[26]. هنا اقتطع الكاتب نصوصا من الآية دون تحريف من قوله تعالى: ﴿**يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[27]. وتحمل الآية إشارات تشير إلى وضع الناس مع الحق، فمنهم من توفق واهتدى إليه بفضل الله، ومنهم من خذله الله، فأعرض، وظل عن الحق، وفي النهاية سيكون جزاء الإنسان وحسابه من جنس عمله. وقد وظف الكاتب الأنساق التناصية السابقة للدلالة على معاني الندب والحزن مما آلت إليه أوضاع الحرب في سوريا، خصوصا التي دارت في حلب بين المقاومة والحكومة، وحال الناس ومواقفهم بين مؤيد ورافض لها، ويشير إلى تحمل الجميع مسؤول ما حدث من دمار وخراب وقتل وعنف فيها.

يستمر الحديث بين "يحيى" و"الشيخ شهاب الدين السهروردي" عن الحرب التي ستأتي على حلب من الغرب، فتدمر كل شيء فيها، يقول الكاتب على لسان الشيخ شهاب الدين: "وستحيل شرقها إلى عصف مأكول"[28]، وتتجلى العلامات القرآنية هنا في التناص مع قوله تعالى: ﴿**فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ**﴾[29]، وتوضح الآية هلاك قوم إبرهة الأشرم ونهايتهم المدمرة بعد أن حاولوا هدم الكعبة، وقد استرفد

الكاتب هذه العلامات القرآنية ليعبر عن الصور المأساوية، التي حلت بحلب بسبب الحرب، وعن معاني النهايات المؤلمة، وتوقف الحياة، وكثرة الدمار والخراب، وشدة الموت والقتل.

وظف الكاتب العلامات القرآنية على لسان "يحيى" وهو يقرأ نصوصا من كتاب للشيخ شهاب الدين، ووقوفه عند فقرة تتحدث عن البعث، وفيها: "فإنه إذا بعثر ما في القبور وحضر البشر في عرصة الله تعالى يوم القيامة، لعل من كل ألف تسعمئة وتسعا وتسعين يبعثون من أجداثهم وهم قتلى العبارات، ذبائح بسيوف الإشارات، وعليهم دماؤها وجراحها"[30]. وتتضح فعالية العلامات القرآنية التي وظفها الكاتب في التناص القرآني مع قوله تعالى: ﴿**أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ**﴾[31]. في الآية استفهام تقريري، يستفهم الله المتكبر والمتعالي والمتناسي للبعث عن مآل عاقبته، وأنه –سبحانه وتعالى– سيبعث الناس من قبورهم يوم القيامة وسيحاسبهم على كل شيء، وتحمل الآية دلالة التهديد والوعيد، والتذكير بأهوال القيامة. وقد سحب الكاتب دلالة الآية ومعانيها ليشير من خلالها إلى الواشين والمنافقين الذين يسعون للإضرار بالآخرين — خصوصا به وبـ"ورد"– من خلال الكذب والبهتان والافتراء عليهما، ورفع التقارير المزورة ضدهما.

من مواضع التواشجات النصية مع العلامة القرآنية في الرواية ما جاء في حديث الشيخ "السهروردي لـ"يحيى" و"سهر الورد"، عندما زاروا المسجد الأموي في ظروف عصيبة، وشعرا بالخوف والقلق، فأمرها بقراءة نصوص عن السيدة مريم، جاء فيها "وبعد أن وضعت مريم حملها إلى بيت المقدس، فتكفل زكريا بها، وما إن كبرت مريم حتى آواها إلى غرفة تتعبد فيها الله، لا يرقى إليها إلا بسلم، وكان كلما جاء ليتفقدها وجد طعاما عندها، فسألها عن مصدره، فقالت: إنه من عند الله، فدعا زكريا الله أن يرزقه ولدا كما يرزق مريم الطعام، فاستجاب الله دعاءه على الرغم من هرمه ومن أن زوجه، كانت عاقرا، وبشره بغلام اسمه يحيى"[32]. تتجلى في النص السابق وفرة العلامات التناصية القرآنية، أشارت إلى حوار زكريا مع مريم، وتتناص مع قوله تعالى: ﴿**وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا**﴾[33]. وقوله تعالى: ﴿**قَالَ يَمَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ**﴾[34]. وقوله تعالى: ﴿**هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ**﴾[35]، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحيَى**﴾[36]، لقد حملت هذه التناصات المكثفة قيما دلالية، توحي بعظمة رحمة الله ولطفه وفضله وكرمه على من يتوكل عليه، ويستجير به، كما منحت النص نفسا روحيا، وبعدا سرديا فلسفيا وجماليا.

حضرتت العلامات القرآنية في حديث الكاتب عن المكائد التي حصلت لـ"يحيى" جراء التقارير المزورة التي رفعها عليه بهتانا وظلما كل من وليد وخزام، يقول: "وليد وخزام اثنان فحسب من أحفاد ابني جهبل، من كثرة ابتليت بهم الأرض منذ قال نور الأنوار لآدم وحواء: قال نور الأنوار لآدم وحواء: اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدٌو"[37]. استرفد الكاتب العلامات القرآنية في النص السابق، وقد شكلت تناصا قرآنيا صريحا مع قوله تعالى: ﴿**قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ**﴾[38]، وتحمل الآية معاني التخاصم والتنازع والتدافع بين بني آدم على حطام الدنيا وفتاتها. وقد حاول الكاتب من خلال التناص السابق إبراز حالة العداوة من قبل وليد وخزام ضده اللذين كانا يلفقان له التهم الكيدية، بهدف الإضرار به، والتقرب من صناع القرار، دون أي سبب إلا لأنه شخص ناجح ومتميز، كما سعى لإبراز سلوك العداوة والحقد والحسد والكيد الذي أصبح مستشريا في أوساط المجتمعات في الوقت الراهن، وكثرة الذين يتصفون به.

تجلت العلامات القرآنية الموظفة في نصوص الرواية في تناصات جمالية مختلفة، استرفدها الكاتب والتقط إيحاءاتها، واستمد دلالاتها في تجسيد صور الكارثة والمعاناة والقتل والدمار الذي حلّ بمدينة حلب جراء الحرب المدمرة، وسعى من خلالها لمعالجة الواقع المأساوي، وإبراز سلوك الحقد والحسد الذي انتشر في المجتمع الحلبي وخصوصا في العائلة الجامعية، والتعبير عن تجربته السردية، وإغناء النصوص بالمواعظ والعبر، ومنحها صدقا فنيا وعمقا دلاليا ورونقا جماليا.

2-2. العلامة النبوية

حاول الكاتب استيعاب العلامة الدينية النبوية أو الحديثية في نصوص الرواية، لما تتمتع من بعد ديني ومقوم فني، وقدرتها في التأثير في المتلقي، والتعبير عن المواقف والقضايا والأمور الدينية، ومن مواضعها ما جاء في رسالة "يحيى" لزميلته "ورد"، وهو يصف الحور العين، يقول: "وأحاديث نبينا بأن المؤمن في الجنة يرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم بسبب حسنهن، وبأن الواحدة منهن لو اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينها وبين السماء، ولملأت بينهما ريحًا، وبأن النصيف الذي على رأسها خير من الدنيا وما فيها"[39]. يكشف النص السابق عن العلامات الحديثية التي وظفها السارد في النص، والتي تتقاطع وتتناص مع قول النبي صلى الله عليه وسلم في سياق حديثه عن الجهاد وفضل الشهادة ومكانة المجاهدين الشهداء في الآخرين، وما أعد الله لهم من نعيم في الجنة من الحور العين في غاية الحسن والجمال، يقول فيه: "**وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ**

نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى الأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا – يَعْنِي الخِمَارَ – خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا"[40]. وقد استثمر الكاتب هذه العلامات الحديثة للتعبير عن حال الإغواء والتضليل في التعبئة الخاطئة، التي تمارسها المقاومة من خلال استغلال الأحاديث النبوية في تعبئة المقاتلين ضد النظام، وما ينتظرهم حال استشهادهم، فيمنّونهم بالحور العين، ويصفون لهم جمالهن وحسنهن المبهر، بهدف تحفيزهم وإثارتهم، والدفع بهم إلى ساحات القتال والحرب لمواجهة خصومهم.

من مواضع استثمار الكاتب للعلامة الدينية النبوية ما دار في مكتب العمل أثناء حديث "يحيى" و"ورد" عن الأوضاع في حلب، حيث طلب منها الذهاب معه لمسجد السهروردي، يقول عن الزيارة: "أمام باب مسجد السهروردي كنا نقرأ معا الكتابة المحفورة في لوحة من الرخام: مسجد الإمام السهروردي. 578هـ اللهم افتح لنا أبواب رحمتك"[41]. تحضر هنا العلامات الحديثية من قَول رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ، فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ**"[42]، ويقع الحديث في أدب الدخول إلى المسجد والتضرع بالدعاء، وقد وظفه الكاتب للدلالة على قدسية المسجد ومكانته وقيمته، والتبرك والدعاء فيه.

3.2.الشخصيات والأماكن الدينية

من آليات توظيف العلامة الدينية استدعاء الشخصيات والأماكن الدينية، كأسماء الرسل والأنبياء والصالحين. ومن الشخصيات الدينية التي وظفها الروائي أسماء الأنبياء والرسل، كنوح، وزكريا، ويحيى، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وأسماء الأماكن الدينية كالمساجد والجوامع والكنائس وغيرها، وأسماء القرآن كالمصحف وغيره.

ذكر الكاتب اسم نبي الله زكريا – عليه السلام – في مواضع متعددة تشير إلى رسالته، وإلى حواره مع مريم، وإلى موضع قبره، ومقامه، وجامعه، كما هو في حديث "يحيى" مع الشيخ شهاب الدين السهروردي، حين سأله الشيخ قائلا: "هل تعرف قبر زكريا؟ سألت بإنهاك واضح: النبي؟ أجل"[43]. وفي موضع آخر يقول: "صندوق من المرمر مطبق ملحوم بالرصاص مكتوب عليه: هذا عضو من أعضاء نبي الله زكريا عليه الصلاة والسلام، فاتخذوا له هناك في ناحية القبلة قبرا"[44]، وكذاك في حديثه معه عن قيمة الجامع الأموي، يقول السارد: "مما كان السهروردي قال له عن الجامع الأموي، وقبر النبي زكريا"[45]،

وفي الحديث عن المدرسة الحلوية، يقول: "احتفظت المدرسة لقرون بواحدة من الشعرات الثلاث للرسول الكريم كانت في حلب، ثم نقلت إلى الجامع الأموي، الكبير، إلى مقام النبي زكريا عليه السلام"[46]. وتحمل العلامة الدينية الرمزية (**زكريا**) بعدا فلسفيا يشير إلى الموت والفناء. والعلامات المكانية المتمثلة بالجوامع (الأموي، والكبير، جامع سيدنا زكريا)، والقبلة، والمقام التي تشير إلى أماكن مقدسة، تحمل بعدا مكانيا روحيا وتاريخيا، ويشير إلى مكان المعرفة والعبادة والطمأنينة والهروب من هدير الحرب.

إن استدعاء الرموز الدينية في الرواية يوحي بالخلاص، ويعني به الكاتب خلاص حلب من الحروب والقتل والدمار والمعاناة.، وقد أضفى على النص طابع الحيوية والأصالة، ومنحه طاقات تعبيرية هائلة، وإمكانات دلالية وفيرة. تكرر حضور العلامة المكانية الدينية في قول الكاتب:

"ستأتي الريح على القبر.

– في الجامع الأموّ ي!

– وستأتي على الجامع

على بعد بضع مئات من الأمتار من الغرب من قلعة حلب ينهض الجامع الأموي، أو الجامع الكبير أو جامع سيدنا زكريا بتعبير أهل حلب"[47].

لا يتوقف ذكر المكان الديني على حضوره الحسي، بل هو علامة دينية لها مدلولات عميقة، ترتبط بالمشاعر والوجدان والروح، فهو مكان الطمأنينة والراحة النفسية هروبا من الواقع الأليم، لهذا تكرر ذكر الجامع كثيرا في نصوص الرواية، وحمل دلالات المكان الآمن الذي لجأ إليه الشيخ ويحي وورد للهروب من نار الحرب، وهو واحة للعبادة والأمن الداخلي والطمأنينة التي افتقدها الإنسان السوري جراء الحرب المدمرة. كما رمز الكاتب بالريح للحرب التي دمرت كل شيء حتى الأماكن الدينية المقدسة، وقد ربط بين دوالها "المساجد، دور العيادات، المسجد الأموي، والمسجد الكبير" وبين ما تحمله من أبعاد دلالية وتاريخية وروحية.

4.2.الأنساق الدينية القصصية الإسلامية

احتوى القرآن الكريم على القصص الديني، الذي شكل معينا عذبا، اغترف الروائيون من معينه العذب في بناء رواياتهم، واستلهموا أفكاره ودلالاته في التعبير عن مواقفهم من الواقع.

وظف الروائي نضال الصالح العلامة القصصية القرآنية في روايته للتعبير عن مواقفه، واستوحى دلالتها لتقريب أفكاره، وقد حضرت في مواضع متعددة، من ذلك قصة نوح عليه السلام، التي وردت في حديث "ورد"، تقول: "منذ نحو سنة، وبينما كنت أبحث في غوغل عن حكاية سفينة نوح"[48]، وتحمل هذه الإشارة الرمزية حب المعرفة، والبحث عن النجاة، فقد استلهم الكاتب النسق القرآني القصصي في قصة الطوفان ليعبر بها عن طوق النجاة، فسفينة نوح تمثل طوق النجاة والأمن والسلامة، وتشير إلى مسألة الاتعاظ والاعتبار من عواقب المخالفة الوخيمة والأليمة، التي تعمق الانقسام في المجتمع الحلبي، وتوحي بالبحث عن طوق نجاة من الحرب في حلب.

أورد الكاتب إشارات إلى قصة هابيل وقابيل، كان ذلك في حديث "ورد" مع لجين عندما سألتها عن الحرب ولماذا هذه الحرب المشتعلة في سوريا وفي حلب بالذات، فعجزت عن إجابتها إجابة مقنعة، وقالت: "كما لو أنها لعنة لا خلاص للبشرية منها منذ قابيل وهابيل حتى قيام الساعة"[49]. وورد ذكرها في حديث السهروردي مع "يحيى"، من ذلك قوله: "سيرة التاريخ هي سيرة الدم منذ هابيل"[50]. وردت قصة قابيل وهابيل في القصص القرآني في قوله تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخر قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ*لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ*إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَآءُ الظَّالِمِينَ*فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[51]. وضح القرآن الكريم هذه القصة، وهي أول قصة قتل حدثت في تاريخ البشرية بين هابيل وقابيل وقع على خلاف بينهما بشأن الزواج والتحكيم بقبول القربان. وقد استلهم الكاتب هذه القصة للتعبير عن العدوان على سوريا، والصراع الإنساني، فقابيل الضحية رمز به إلى سوريا وهابيل رمز به إلى إدارة الحرب. فقد تمكن الكاتب من استثمار هذا النسق العلاماتي الديني القصصي للتعبير عن قضية الموت ومواجعه، وعن كارثة الحرب والدماء والدمار في سوريا، وتجسيد الصراع بين قوى الخير والشر، فقد نقل

الصراع والقتل من الصراع الأخوي بين هابيل وقابيل إلى الصراع الإنساني، وجسد مأساة الحرب في سوريا، وخصوصا في حلب وما يجري فيها من موت ودماء وضحايا، وصور هدم الإنسان للحياة ومقوماتها وحضارتها.

ورد ذكر قصة مريم –عليها السلام– في سياق الحديث بين "الشيخ ويحيى وورد" إثناء مكوثهم في الجامع الأموي، عندما طلب الشيخ من "ورد" قراءة رقعة من جلد رقيق صفراء، ظهرت تحتها مكتوبة بخط في غاية في المهارة، فقرأتها: "وبعد أن وضعت مريم حملتها إلى بيت المقدس، فتكفل زكريا بها، وما إن كبرت مريم حتى آواها إلى غرفة تتعبد فيها الله"[52]. وتحمل علامة "مريم" دلالة العفة والطهر والصدق، وعلامة "بيت المقدس" تدل على المكان الديني المقدس، وإلى العبادة والتقرب إلى الله.

لقد أسهمت العلامات الدينية الإسلامية السابقة بأنواعها المختلفة في تشييد معمار الخطاب الروائي، وتأثيثه بالمعاني والدلالات، واستفزت خيال المتلقي ودفعته إلى معرفة أبعادها في تحريك العملية السردية وتفعيل الحركة الدلالية.

3. تمظهرات العلامات الإنجيلية

لم يقتصر حضور العلامة الدينية في خطاب رواية (سهر الورد) على العلامات والأنساق الدينية الإسلامية، بل حضرت العلامة الدينية الإنجيلية كنصوص العهد القديم والجديد، وقد استدعاها الكاتب كي يمنح الشخصيات فسحة في التعبير عن المواقف والأحداث والأفكار والمعتقدات، وقد ترددت كثيرا في حوارات وأحاديث "يحيى" مع "ورد"، ففي رسالته عن المقاتلين والرغبة في الموت والشهادة من أجل الفوز بالحور العين، كان قد أورد تناصات من القرآن الكريم –أشرت إليها سابقا– ثم قال: "بالمناسبة، وقبل أن أختم رسالتي هذه، اكتشفت وأنا أقرأ إنجيل مرقس هذا اليوم أن السيد المسيح لم يذكر المرأة عما ينتظر أتباعه في الأبدية عندما قال بطرس له: ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك"[53]، ففي النص إشارة إلى تناص ديني إنجيلي من سفر لوقا جاء فيه: "**فَقَالَ بُطْرُسُ: هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ**"[54]، وقد هدف الكاتب من خلال إيراد هذه العلامات الربط والمقارنة بين الثقافات والشرائع في مسألة الزواج بالحُور، حيث ذكرت في الشريعة الإسلامية ولم تذكر الشريعة المسيحية. كما منح فرصة لشخصية "يحيى" كي يخاطب زميلته "ورد"

المسيحية بما يتوافق مع أفكارها ومعتقداتها، وأضفى على خطابه معها لمسة دينية كي تفهمه، وهذا التواشجات النصية الدينية تدعم النص، وتمنحه بعدا دينيا وعمقا دلاليا، وتحرك خيال القارئ عند القراءة، فيجد نفسه أن يتنقل بين ثقافات متعددة.

يستمر الكاتب في استثمار العلامات الدينية الإنجيلية كما هو في تعبير "ورد" عند لقائها بـ "يحيى"، ومن ذلك قولها: "قال "يحيى" وهو يقدم فنجان القهوة إليّ وعيناه تسترقان النظر إلى الصليب المذهب وسط سلسال قصير يسور عنقي: تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم"[55]. تتجلى في النص العلامات الدينية الإنجيلية في التناص الممتص من الكتاب المقدس، الذي جاء فيه: **"تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ[56]"**. ويحمل التناص دلالة الهروب من واقع الحياة ومتاعبها وهمومها وأعبائها والتخلص من ذلك، والبحث عن فضاء للراحة وخلق السعادة لإسعاد النفس. فقد استوحى الكاتب دلالة التناص، ووظفه على لسان "يحيى" عندما دعا "ورد" لتناول فنجان القهوة ليهربا من أجواء الحياة المليئة بالظلم والكيد والنفاق والهموم والمتاعب، ومن واقع الفراغ الممل الذي كان يعيشانه في مركز أبحاث الجامعة عندما كانا يعملان فيه، ويبحثان عن واحة للراحة، كما يوحي بمحاولة "يحيى" إذابة الحاجز الثقافي الديني بينه وبين "ورد"، وإظهار سعة ثقافته بالنصوص الدينية المسيحية، وهو ما أضفى على النص صبغة دينية وفنية.

من المواضع التي حضرت العلامات الدينية الإنجيلية قول "ورد" في حديثها مع "يحيى" تقول: "وضعت فنجان القهوة على الطاولة أمامي، وقلت وأنا أمسك الصليب بذؤابتي أصبعين من يميني: هدية أمي منذ كنت في الرابعة عشرة من عمري. فقال "يحيى": أنا نور العالم، من يتبعني لا يمشي في الظلمة أبدا"[57]. في النص تناص مع الكتاب المقدس، يقول: **"ثُمَّ كَلَّمَهُمْ يَسُوعُ أَيْضًا قَائِلًا: أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فَلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ"**[58]، ويشير النص إلى أن يسوع هو النور الحقيقي في العالم، الذي يهدي إلى النور من الظلمة. وقد استرفد الكاتب التناص على لسان "يحيى" للتعبير عن إعجابه بجمال "ورد" وحسنها، وبأن وجودها معه يمثل له النور الذي يضيء حياته بعد أن أظلمت جراء المعاملة القاسية، والظلم الذي وقع عليه من إدارة الجامعة وجواسيسها.

حضرت العلامات الدينية الإنجيلية في سياق حديث "ورد" مع نفسها، بعد أن أصيبت بالذهول جراء التقارير المزيفة التي رفعت ضدها، تقول: "ولم أكد أسترد إحساسي بالمكان والزمان اللذين كنت انفصلت عنهما هائمة على وجهي في صحراء القهر، وحافية تنهش قدمي أشواك وحجارة مثلمة وتراب كالجمر، حتى أعادني "يحيى" إليهما من جديد عندما قال: ها أنا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب، فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام[59]. في النص السابق مجموعة من العلامات الدينية الإنجيلية التي شكلت تناصا صريحا مع نص الكتاب المقدس الذي يقول: "**هَا أَنَا أُرْسِلُكُمْ كَغَنَمٍ فِي وَسْطِ ذِئَابٍ، فَكُونُوا حُكَمَاءَ كَالْحَيَّاتِ وَبُسَطَاءَ كَالْحَمَامِ**"[60]. ويشير النص إلى نصيحة المسيح لتلامذته في كيفية التعامل مع ظروف الحياة ومحيطها بحنكة وذكاء كي لا يتعرضون للأذى والشر، وعليهم وأن يكونوا متيقظين ومستعدين للمواجهة والتعامل مع الواقع وتقلباته. وقد استثمرها الكاتب على لسان سمير ليعبر بها لـ"ورد" عن أهمية أخذ الحيطة والحذر من خطورة الوشاة ومكرهم في الوسط الجامعي الملوث، وما يدور في محيط حلب الاجتماعي من كثرة الفتن والقتل، والتفطن للأمور والتعامل مع الواقع بيقظة وحكمة وذكاء؛ كي يدفعان عن نفسيهما الضر والأذى ما أمكن.

من مواطن توظيف العلامات الدينية الإنجيلية قول "ورد": "كنت أعني ذلك حقا، لأنني أتيت على الفنجان حتى الثمالة منه، ولم أفعل ذلك من قبل سوى ما كنت أعده بنفسي، وأضفت وأنا أبتسم حقيقة: تحفظ أقوالا من الأناجيل، وتصنع قهوة ممتازة. طوبى لزوجتك بك، فقال "يحيى": طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله[61]، في النص تناص مع الكتاب المقدس الذي يقول: "**طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ**"[62]. ويحمل التناص معنى النقاء والصفاء الروحي الذي يوصل الإنسان إلى معرفة الله، فالأنقياء والأصفياء الصلحاء هم الذين يعيشون السعادة في دواخلهم مهما كانت الظروف، ويرون كل شيء جميل في الحياة.

وردت العلامات الدينية الإنجيلية في حديث "ورد" عن الاتصال الذي جرى بينها وبين "يحيى" في ساعات الليل المتأخرة، تقول: "اتصلتُ، أهلا دكتورة "ورد". قال ذلك قبل أن أنبس بحرف، قبل أن يسمع صوتي، وتابع قبل أن أتحرر من وقع الدهشة روح الإنسان تحتمل مرضه أما الروح المكسورة فمن يحملها، ثم ساد صمت، كنُت خلاله، أستعيد اللحظة التي قرأُ ت فيها تلك العبارة في سفر الأمثال، ولم يمهلني "يحيى" لأتذكر الكثير، فقد أضاف: الشرير تأخذه آثامه، وبحبال خطيئته يُمسك"[63]. استدعى الكاتب في النص

السابق تناصين على لسان "يحيى"، الأول **"رُوحُ الإِنْسَانِ تَحْتَمِلُ مَرَضَهُ، أَمَّا الرُّوحُ الْمَكْسُورَةُ فَمَنْ يَحْمِلُهَا؟"**[64]، ويحمل دلالات قوة النفس وصلابتها في مواجهة المحن والشدائد، لأن النفس القوية والنشطة والمتشبعة بالإيمان وقوة الثقة يمكنها تحمل الآلام والمصائب بروح مرحة راضية، لكنها إذا ضعفت وانكسرت ويئست فلا يمكنها مواجهة المخاطر والتحديات، وقد تستسلم مباشرة. أما التناص الثاني فهو **"الشِّرِّيرُ تَأْخُذُهُ آثَامُهُ وَبِحِبَالِ خَطِيَّتِهِ يُمْسَكُ"**[65]، ويحمل دلالة النهاية الحتمية والمخزية للشرير، الذي يقع في نهاية المطاف في شرك شره، فيقضي عليه. يهدف "يحيى" من سوق هذه العلامات الإنجيلية في حواره، والتي تضمنت حكما ونصائح وتوجيهات تساعده مع "ورد" على تقوية عزيمتها، وتساعدهما في مواجهة مصائب الحياة ونوائب الدهر ومكر الأشرار وخططهم التي تحاك ضدهما، كما قصد أيضا مخاطبها بخطاب معتقدها الديني كي تصل إليها الرسالة واضحة.

استرفد الكاتب العلامة الإنجيلية في حوار لـ"جين" مع أختها "ورد"، وهي تحدثها عن لقائها بزميلها إبراهيم، وحبه لها، وتلك التعابير والكلمات الجميلة التي انهالت عليها، وأثرت بها، غير أنها كانت خائفة من عائلتها، فسألتها "ورد": "أنت ماذا تريدين؟ فردت: أريد وأخاف. قلت: ممن؟ الأسرة؟ الناس؟ الكنيسة؟ قالت: أجل. ثم أضفُت مما كنت قرأت في رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي: "وكل ما فعلتم، فاعملوا من القلب، كما للرب ليس للناس"[66]. ففي النص السابق تناص مع الكتاب المقدس في قوله: **"وَكُلُّ مَا فَعَلْتُمْ، فَاعْمَلُوا مِنَ الْقَلْبِ، كَمَا لِلرَّبِّ لَيْسَ لِلنَّاسِ"**[67]، ويشير إلى معاني الإخلاص في العمل، وابتغاء الأجر من الرب، لا الرياء والثناء من الناس. لكن الكاتب حوره للدلالة على حب لجين لإبراهيم وشدة تعلقها به، وأتى به كنصيحة من قبل "ورد" للجين بأن تخلص في حبها وأن يكون صادقا من أعماق قلبها، وإذا كان هذا حالها، فلن تخشى الأسرة أو الناس أو الكنيسة، ولن تسمع لهم، بل ستنصت إلى حديث قلبها.

نهل الكاتب من العلامات والأنساق الإنجيلية، وخصوصا في حديث "ورد" مع أختها "لجين"، لاعتبارات ترجع إلى ثقافتهما الدينية المسيحية، فكثيرا ما كانت "ورد" تستحضر الآيات الإنجيلية عند حديثها مع لجين لتقوية إيمانها ومنحها قوة روحية، ففي حوارها معها عن سفر إبراهيم للخدمة العسكرية وخوف لجين عليه من الموت، قالت "ورد": "عبثا كنت أحاول ترميم الصدوع التي كانت تزداد تشققا في جدار إيمانها

بالسماء، وأردد أمامها ما تردده أمي دائما كلما وجدت نفسها، أو أحدا منا في ضائقة على الرغم من يقيني الذي طالما كان بوصلتي في كل شأن في الحياة، يقيني بأننا نحن البشر من نرسم مصائرنا بأيدينا: يأت ملكوتك. لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض"[68]. يتضح التناص في النص السابق مع النص من الكتاب المقدس: "**لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ**"[69]. ويأتي النص في معنى النصح في التقرب إلى الرب بالدعاء لتحقيق الرغبات والمقاصد. وقد سحب الكاتب مدلول التناص على لسان "ورد" في المعنى نفسه، إذ تنصح أختها لجين بأن تسلم بالأقدار وأن تتقرب إلى الرب بالدعاء ليلاطف الأقدار ويرد إليها إبراهيم سالما.

وجد الكاتب من أنساق العلامات الإنجيلية الحامل الذي يبلغ رؤيته وينقل فكرته للآخر، فلجأ إلى استثمار معطياتها وإيحاءاتها في نصوص الرواية لتوسيع أفق خطابه، وبلوغ فكرته، والبوح بمكنونه، وإثارة المتلقي وشد انتباهه، وإكساب النصوص ثراء دلاليا وبعدا دينيا وعمقا فكريا وسحرا جماليا.

أورد الكاتب علامات دينية مسيحية، تتعلق بالديانات، كأسماء لبعض الأماكن والطقوس الدينية، ومن ذلك إشارة "سهر الورد" إلى المعالم المهمة القريبة من بيتها، تقول: "بيتنا القريب من كنيسة الأربعين شهيداً ا"[70]. وفي حديث "ورد" مع يحيى عن أسرتها تقول: "أسرتنا التي، منذ وعيت، لم تغب أحداً ا عن الصلاة في الكنيسة"[71]. وورد كانت من أسرة نصرانية، تمارس طقوسها الدينية مع أسرتها في الكنيسة، فدال "الكنيسة" يرمز لمكان مقدس عند النصارى، يتمثل في أهم أماكن لإقامة الطقوس الدينية والعبادة عند النصرانية، ويحمل معنى روحيا.

من مواضع استثمار الكاتب للعلامة الدينية قوله في حديث "ورد" مع أختها حول زميلها إبراهيم، الذي كان كاثلوكيا، فقالت لها رود: "نهاية المطاف؟! قلت لها، وأضفت: تعنين لأنه كاثوليك؟! ألم ننس بعد ما يزيد على مئتي سنة الدم الذيُ سفك من أبناء الطائفتين في حلب، الأرثوذكس والكاثوليك، بسبب فتنة من الباب العالي آنذاك؟"[72]. ودلالة ذكر العلامة الدينية هنا للإشارة إلى الانقسام الديني الحاصل بين الجماعات الدينية النصرانية، وتقاتلها.

حضرت العلامات الدينية المسيحية الدالة على المكان والطقوس الدينية في سياق حديث "ورد" مع لجين عن لقائها بيحيى، وحديثها معه عن طقوس أسرتها بقولها: "أفراد الأسرة لم تغب مرة واحدة عن الصلاة

في الكنيسة كل أحد، وتسلم بكل ما جاء في الأناجيل من الحكايات، وتملأ جدران الغرف بأيقونات للسيد المسيح والممتلئة نعمة وبصور لمار جرجس وهو يصارع التنين"[73]، من العلامات والدوال الدينية المكانية فـ"الصلاة، الكنيسة" تدل على الشعائر والطقوس الدينية، و"الأناجيل" يدل على الكتاب المقدس، و"المسيح" يدل على العقيدة وعلى المخلص والمنقذ، والكاتب يستوحي معاني الصراع بين قوى الخير والشر وانتصار الخير وتفوقه وسحقه للشر، ودال "مار جرجس القديس" يرمز للشهادة والتضحية والشهادة والخير والخلاص، والتنين رمز للشيطان والوثنية والسلطة والاستبداد والظلم والغطرسة والشر.

ترددت العلامة الدينية المسيحية "الصليب" كثيرا في نصوص الرواية، من ذلك قول الكاتب: "وعيناه تسترقان النظر إلى الصليب المذهب وسط سلسال قصير يسور عنقي"[74]، وقوله: "تابع يحيى يقول وعيناه معّ ّلقتان بالصليب"[75]، وقوله: "في مدخل المدرسة، إلى اليمين منه، قاعدة ضخمة من الحجر الأسود هي بقا يا جرن المعمودية، منقوش عليه الصليب الغساني السرياني"[76]، وقوله: "حتى رسم إشارة الصليب، وحتى سمعناه يقول: لك المجد أيها المسيح إلهنا، يا غافر الذنوب، وداعي الخطاة إلى التوبة، الآب والابن والروح القدس الآن وكل أوان"[77]، وقوله: "رسمت إشارة الصليب على وجهي وصدري"[78]. الصليب رمز ديني عند النصرانية وقد حمل في الرواية معاني ودلالات مختلفة منها: الفداء والتضحية والحب والتعلق والتبرك والخلاص وقوة الإيمان والروحانية.

خاتمة

توصل البحث لمجموعة من النتائج، وهي:

إن توظيف العلامات الدينية في خطاب رواية (سهر الورد) متطلب فكري وفني وراهني، وجد الكاتب من دوال هذه العلامات وحمولاتها ورموزها وإشاراتها بأنواعها المتعددة فضاء واسعا للتحرك في مساحاتها، فاستثمر رمزيتها وإشارتها ودلالاتها للتعبير عن مواقف من الواقع وغصته وأحداثه، والبوح بمشاعره الأليمة، والإفصاح عن أفكاره تجاه هذا الواقع السوري المأساوي، وخصوصا الحرب في حلب. فقد ألقت هذه

العلامات بظلالها الدلالي على النصوص، وأفاضت عليها بالمعاني والقيم الجمالية، وفعلت خيال القارئ، ودفعته إلى استحضار دلالاتها ومعطياتها.

شكل توظيف العلامات الدينية في رواية (سهر الورد) بصمة فنية بارزة، وبنية ذات فعالية توالدية ومرتكزا في بناء معمار خطاب الرواية فنيا ودلاليا وجماليا، وتفجرت كالبراكين في النص، وضخت دماء جديدة في أوردته، وتشظت دلالاتها ومعانيها في مساحاته، وعكست صدى الواقع السوري المليء بالمآسي والمعاناة والألم والخيبات والأحقاد والكراهات جراء الحرب، وكشفت الحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والثقافية المعقدة في سوريا بشكل علم وفي مجتمع حلبي بشكل خاص، ومدى التحولات الكبيرة التي شهدتها أثناء الحرب الأخيرة.

عكس التكثيف للعلامات الدينية في نصوص الرواية تمكن الكاتب من تطويع معطيات هذه العلامات بما يتناسب مع أفكاره السردية وبناء كون الخطاب الروائي في روايته، وكشف سعة ثقافته، وواسعية اطلاعه، وإحاطته بالمعارف والثقافات المختلفة، وقدم من خلالها إيحاءات عميقة للمتلقي النوعي تعبر عن رؤيته الخاصة تجاه الوضع السوري المعقد.

الهوامش والإحالات:

* الحرب التي وقعت بين الدولة والمقاومة منذ2012م.

[1]– محمد برادة، أسئلة الرواية: اسئلة النقد، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1996، ص56.

[2] – فيصل غازي النعيمي، العلامة والرواية: دراسة سيميائية في ثلاثية أرض السواد، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط1، 2010، ص9.

[3] – محمد عبد الباسط عيد، التراث السردي وأشكال تعالقه في الرواية الجديدة، مجلة البيان الكويتية، الكويت، ع536، 2015، ص32.

[4] – سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي: من أجل وعي جديد بالتراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1992، ص7.

[5] – محمود طرشونة، مدرسة توظيف التراث في الرواية العربية، مجلة فصول، مصر، ع1، 1998، ص36، 37.

[6] – نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، مطابع الدولة الحديثة، الدوحة، قطر، ط1، 1974، ص75-76.

[7] – مفيدة بنوناس، تمظهر الخطاب الديني في الرواية المغاربية المعاصرة: رواية "مدينة الرياح" للكاتب الموريتاني موسى ولد إبنو نموذجا، مجلة الأثر، الجزائر، ع13، 2012، ص257.

[8] – نضال الصالح، رواية سهر الورد، الآن ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، ط1، 2022، ص14.

[9] – [سورة الواقعة، الآية: 23].

[10] – [سورة الرحمن، الآية: 58].

[11] – [سورة الصافات، الآية: 48].

[12] – [سورة الرحمن، الآية: 56].

[13] – [سورة ص، الآية: 52].

[14] – [سورة الواقعة، الآية: 37].

[15] – [سورة النبأ، الآية: 33].

[16] – [سورة الرحمن، الآية: 70].

[17] – [سورة البقرة، الآية: 25].

[18] – [سورة آل عمران، الآية: ص15].

[19] – [سورة النساء، الآية: 57].

[20] – نضال الصالح، رواية سهر الورد، مصدر سابق، ص18.

[21] – [سورة المؤمنون، الآية: 1].

[22] – نضال الصالح، رواية سهر الورد، مصدر سابق، ص39.

[23] – [سورة البقرة، الآية: 216].

[24] – نضال الصالح، رواية سهر الورد، مصدر سابق، ص9.

[25] – [سورة يوسف، الآية: 20].

[26] – نضال الصالح، رواية سهر الورد، مصدر سابق، ص47.

[27] – [سورة النحل، الآية: 93].

[28] – نضال الصالح، رواية سهر الورد، مصدر سابق، ص57.

[29] – [سورة الفيل، الآية: 5].

[30] – نضال الصالح، رواية سهر الورد، مصدر سابق، ص32.

[31] – [سورة العاديات، الآية: 9].

[32] – – نضال الصالح، رواية سهر الورد، مصدر سابق، ص78.

[33] – [سورة آل عمران، الآية: 37].

[34] – [سورة آل عمران، الآية: 37].

[35] – [سورة آل عمران، الآية: 38].

[36] – [سورة آل عمران، الآية: 39].

[37] – نضال الصالح، رواية سهر الورد، مصدر سابق، ص100.

[38] – [سورة طه، الآية: 123].

[39] – نضال الصالح، رواية سهر الورد، مصدر سابق، ص14.

[40] – محمد بن إسماعيل البحاري، صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، تح: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ج8، ص117.

[41] نضال الصالح، رواية سهر الورد، مصدر سابق، ص23.

[42] – مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ج1، ص494.

[43] – نضال الصالح، رواية سهر الورد، مصدر سابق، ص57.

[44] – المصدر نفسه، ص98.

[45] – المصدر نفسه، ص62.

[46] – المصدر نفسه، ص102.

[47] – المصدر نفسه، ص58.

[48] – المصدر نفسه، ص95.

[49] – المصدر نفسه، ص82.

[50] – المصدر نفسه، ص115.

[51] – [سورة المائدة، الآيات 27-30].

[52] – نضال الصالح، رواية سهر الورد، مصدر سابق، ص 78.

[53] – المصدر نفسه، ص14.

[54] – الكتاب المقدس، إنجيل لوقا 18: 28.

[55] – نضال الصالح، رواية سهر الورد، مصدر سابق، ص15.

[56] – الكتاب المقدس، إنجيل متى 11: 28.

[57] – نضال الصالح، رواية سهر الورد، مصدر سابق، صص15، 16.

[58] – الكتاب المقدس، إنجيل يوحنا 8: 12.

[59] – نضال الصالح، رواية سهر الورد، مصدر سابق، ص16.

[60] – الكتاب المقدس، إنجيل متى 10: 16.

[61] – نضال الصالح، رواية سهر الورد، مصدر سابق، ص17.

[62] – الكتاب المقدس، إنجيل متى 5: 8.

[63] – نضال الصالح، رواية سهر الورد، مصدر سابق، ص18.

[64] – الكتاب المقدس، سفر الأمثال 18: 14.

[65] – الكتاب المقدس، سفر الأمثال 5: 22،

[66] – نضال الصالح، رواية سهر الورد، مصدر سابق، ص45.

[67] – الكتاب المقدس، رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي 3: 23.

[68] – نضال الصالح، رواية سهر الورد، مصدر سابق، ص81.

[69] – الكتاب المقدس، إنجيل متى 6: 10.

[70] – نضال الصالح، رواية سهر الورد، مصدر سابق، ص22.

[71]– المصدر نفسه، ص44.

[72] – المصدر نفسه، ص44.

[73] – المصدر نفسه، ص16.

[74] – المصدر نفسه، ص15.

[75] – المصدر نفسه، ص16.

[76] – المصدر نفسه، ص25.

[77] – المصدر نفسه، ص46.

[78] – المصدر نفسه، ص71.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم (رواية حفص).
2. الكتاب المقدس (الأناجيل).
3. سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي: من أجل وعي جديد بالتراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1992.
4. فيصل غازي النعيمي، العلامة والرواية: دراسة سيميائية في ثلاثية أرض السواد، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط1، 2010.
5. محمد برادة، أسئلة الرواية: اسئلة النقد، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1996.
6. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، تح: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ط1، 2002.
7. محمد عبد الباسط عيد، التراث السردي وأشكال تعالقه في الرواية الجديدة، مجلة البيان الكويتية، الكويت، ع536، 2015.
8. محمود طرشونة، مدرسة توظيف التراث في الرواية العربية، مجلة فصول، مصر، ع1، 1998.
9. مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1991.
10. مفيدة بنوناس، تمظهر الخطاب الديني في الرواية المغاربية المعاصرة: رواية "مدينة الرياح" للكاتب الموريتاني موسى ولد إبنو نموذجا، مجلة الأثر، الجزائر، ع13، 2012.
11. نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، مطابع الدولة الحديثة، الدوحة، قطر، ط1، 1974.
12. نضال الصالح، رواية سهر الورد، الآن ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، ط1، 2022.